تعريف علم الدّلالة

تنطوي لفظة ‹دلالة› على معانٍ عدّة؛ قال ابن فارس في مادة ‹دلّ› من باب الدّال وما بعدها في المضاعف والمطابق: "الدال واللاّم أصلان، أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء، فالأوّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق، والدّليل: الأمارة في الشيء، وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة".

الأصل الأول الذي منه اشتق لفظ الدِّلالة (بكسر الدّال)، ومنه الدليل: أي ما يُستدل به، ومنه قولهم: بيّن الدلالة أي واضحها. نستأنِس بتعريف ابن منظور الذي يقول : "والدّليل ما يُستدلّ به، والدّليل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة...والدَّلِيل والدِّلِّيلي: الذي يدُلُّك" فالهِداية والاستِهْداء على الطريق تكاد تجتمع عليه كلمة دل بكلّ صِيغها.

يرى الراغب الأصفهاني أن "الدِّلالة ما يُتوصَّل به إلى معرفة الشيء، كَدَلاَلة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواءٌ كان ذلك بقصد ممن يجعله دَلاَلةً أو لم يكن بِقصدٍ كمَن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيٌّ. الألفاظ تدل على المعاني، ثم الإشارات والرّموز كلّها تؤدّي إلى تحقيق هدف بِقصد أو بدون قصد. ثم يشير إلى أنّ :"أصل الدَّلالة مصدرٌ كالكتابة والأَمَارَة...، ثم يُسمّى الدَّالُّ والدَّليلُ دِلاَلةً كتسمية الشيء بمصدره".

إن المُتأمّل والمدقّق لما بُسِط من تعاريف يمكنه استخلاص قراءات عديدة منها :كل ما دار حول لفظ الدلالة في المعاجم العربية لم يخرج عن معنى الإبانة والإرشاد والتسديد بالأمارة أو بأي علامة أخرى لفظية أو غير لفظية.

علم الدّلالة في التراث العربي

يتقصّى البحث الدّلالي العلاقات الدّلالية بين الرّموز اللّغوية ومدلولاتها وما يترتّب عليها من نتائج في سلامة الأداء للغرض المقصود، وفي وضوح الرسالة الموجّهة من المتكلّم إلى المتلقّي، لأن البحث الدلالي يَنشُدُ العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تُؤدّي غرضًا في الواقع اللغوي بين المتكلّم والمتلقي؛ إلا أنّ العلامات اللغوية تبقى تَحظى باهتمام خاصّ، لأنّه رغم اهتمام علم الدّلالة بدراسة الرّموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة، فإنّه يركّز على اللّغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان.

ممكن تبني وبحذر معرفي ملتزمين مبدأ الموازنة الذي طرحه إبراهيم أنيس بقوله أنّ دراسة الدّلالة هي قمة التّحليل اللغوي وهدفه النهائي، إذ الغاية من اللّغة هي الاتّصال والتّفاهم، ودون دراسة المعنى يُصبح التَّحليل اللّغوي لَغوًا لا طَائل من ورائه، التّحليل اللّغوي على اختلاف مستوياته تبقى للدّلالة الحضور القوي والمباشر، لأنّه بِغياب المعنى تُصبح العملية الاتصالية جوفَاء وخالية من الجوهر، فالمعنى هو الغاية والقصد؛ حتى أنّ هناك من أطلق عليه قمّة الدّراسات اللغوية، ورأى أنه

يشغل المتكلمين جميعا على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الفكرية، لأن الحياة الاجتماعية تلجئ كل متكلّم إلى النّظر في معنى هذه الكلمة أو تلك وهذا التّركيب أو ذاك.

علم الدلالة (التأسيس والمصطلح)

يعتبر أول ظهور لدراسة علمية خاصة بالدلالة"Semantics " ظهرت لأول مرة في الإنجليزية في القرن السابع عشر في كتاب "جون سبنسر"، ثم استعملها اللغوي الفرنسي ميشال بريال"m.breal والأمر فيه تسلسل وتأسيس للفكرة، و"في القرن التاسع عشر حيث كتب بحثا بعنوان "مقالة في السيمانتيك""essai de semantics "، وكان ذلك سنة 1897م، فميشال بريال هو أول من استعمل مصطلح سيمانتيك لدراسة المعنى، لكن الفكرة كانت في بدايتها عامة.

لم يتوقّف الأمر عند هذا الحد"ففي سنة1923م ظهر كتاب آخر للعالمان الإنجليزيان ريتشاردز Rechadrs" وأوجدن "Ogden " تحت عنوان"معنى المعنى""the meaning of meaning "، وقد عرضا فيه مشكلة المعنى من جوانبها المختلفة وأوردا فيه اثنين وعشرين تعريفا للكلمة. حيث حدّدا في كتابهما مقومات العلامة اللغوية من خلال المثلث المشهور"وقسّما بذلك المعنى إلى ثلاثة مكونات:الرمز (Symbole)، والفكر(Though)، والمرجع (Référence)، وبتعبير آخر: الاسم (Name)، والمعنى (Sense)، والشيء (Thing)، والاسم هم الكلمة المنطوقة أو المكتوبة، والمعنى هو المعلومة التي ينقلها الاسم، والشيء هو الظاهرة غير اللغوية التي تدل عليها الكلمة، الأقطاب الثلاثة لبناء المعنى تشترك فيها كما سلف الفكرة، واللفظ، وعالم الأعيان (الخارجي).

موضوع علم الدلالة: إنّ علم الدلالة يقوم بدراسة الرموز بصفة عامة دراسة قائمة على أسس علمية، وذلك بوصفها أدوات اتصال يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه من رموز، أو علامات وهي على نوعين:

1 - شبه ألسنية: وهي ما يصاحب العملية التواصلية من حركات وإيماءات مختلفة والتي بها يزيد الكلام وضوحا أو غموضا، وهي تختلف باختلاف البيئات الثقافية ،فاليونان مثلا يحركون رأسهم من الأسفل إلى الأعلى تعبيرا عن النفي. والفن الذي تطغى عليه تلك الحركات والإيماءات هو المسرح،فهو الفضاء الأوسع الذي يسمح بها فهي ركيزته الأساسية.

2 - الرموز الألسنية:إن عملية الاتصال كما هو متفق عليه تتطلب وجود باث ومتلقي أثناء الاتصال، ورسالة وهي عبارة عن الرموز الألسنة وعلامات اتصال اصطلاحية حيث ينشأ معناها دائما عن توافق بين الذين يستخدمونها.

ثنائية الدّال والمدلول

لما كان نوع الإنسان في أكثر حاجة من جميع الحيوانات لأن غيره قد يستقلّ بنفسه عن جنسه، أما الإنسان فمطبوع على الافتقار على جنسه في الاستعانة فهو ضفة لازمة لطبعه وخلقه قائمة في جوهره؛ لذا فإنّ أهمّ وظائف اللغة نقل فكرة ما من شخص لآخر، وقد توجد طرق مختلفة لتوصيل الفكرة كبعض الحركات والإشارات والإيحاءات وغيرها من الوسائل المعروفة، إلا أن اللغة تبقى الوسيلة الوحيدة القادرة على إبلاغ الفكرة من المتحدث إلى السامع مع سهولة ويسر وبسرعة فائقة.

مرّ معنا في تقسيمنا للدّلالة إلى تقسيمات عدة فما يهمّنا منها هو أنها في مقابل الدلالة اللسانية والغير اللسانية لكن الأهم منها هو الدلالة اللسانية التي "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول" من هذا ندرك أن العلامة اللسانية هي ثنائية مكونة من اللفظ والمعنى أي الدال والمدلول، فاللّفظ هو دليل المعنى وهو ما يطلق عليه بالوضع*، والمراد منه جعله متهيئا لأن يفيد ذلك المعنى عند استعمال المتكلم له على وجه مخصوص كتسمية الولد زيدا.

دي سوسير في كتابه "علم اللغة العام" كان حديث مستفيض عن ثنائية الدال والمدلول، حيث أطلق عليهما مصطلح الدّليل اللساني وأنّهما وجهي العملية الدّلالية "فالدال هو القيمة الصّوتية أو الصورة الأكوستيكية، أما المدلول فهو المحتوى الذّهني أو الفكري" الدّال والمدلول لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، فالدّال صوتي مادّي، والمدلول مجرّد وذهني موجود في الفكر.

العلاقة بين الدال والمدلول

1/ <u>المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله:</u> جاء في المزهر للسيوطي قوله: "نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع" وكان بعض من يرى رأيه يقول:" أنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل ما مسمى "ادغاغ" وهو بالفارسية الحجر فقال:"أجد فيه يبسا شديدا وأراه الحجر " فمدلول قول الصيمري أن الباعث في وضع هذا اللفظ لهذا المعنى هو تلك المناسبة الخفية بينهما والتي لا يدركها إلا مستعمل اللغة فيضع اللفظ لما هو مسموع لديه.

نبه السيوطي على أن هناك من قال بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ و المعاني فقال :" اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته قال الخليل :" كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا:" صَرْ "وفي صوت البازي تقطيعا فقالوا: "صَرْصَرْ"،وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلاَن :إنها تأتي للاضطراب

والحركة نحو: النَّقَرَان والغَلَيَان والغَثَيَان فقابلوا بتوالي حركات الأمثال توالي حركات الأفعال" فتوالي الحروف بهذا النسق يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يقابله.

2/ اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول: المقصود منها أن العلاقة بينهما غير معلّلة حيث "ذهب الجمهور إلى أنّ دلالة اللفظ على المعنى ليست لمناسبة طبيعية بينهما، بل لأنه جعل علامة عليه ومعرفا به بطريق الوضع" أي أنها اعتباطية بين اللفظ والمعنى أي غير معللة، والمقصود بالوضع "تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني ،وهذا تعريف سديد فإنك إذا أطلقت قولك:"قام زيد"فُهم منه صُدور القيام منه" أي أن الواضع هيّأ المعنى للفظ فإن وَضع الواضع له معناه أنه جعله مهيأً لأن يفيد ذلك المعنى عند استعمال المتكلم على وجه الخصوص.

السياق وأنواعه

الكلمات لا معنى لها خارج السّياق، ويجب تسييقها لكي تحمل معنى هو ذاك الأهم، وذلك لما للسّياق من أهمية "كبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه؛ ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على أكثر من معنى واحد، فالذي يحدّد هذه المعاني ويفصلها هو السّياق في مورد النصّ، لذلك نلاحظ أنّ اللغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنّه متعدّد ويحتمل أكثر من معنًى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنّه واحد لا يحتمل غير معنًى واحد.

الفرق بين المعنى المعجمي والمعنى السّياقي: المعنى السّياقي: معنى واحد ومحدّد . المعنى المعجمي: فهو احتمالي ومتعدّد، ويطلق عليه المعنى الاجتماعي، أو المعنى المقامي، وهو معنى يستنبط من القرائن اللغوية (السياق اللغوي)، مع مراعاة الظّروف الخارجية والأحوال التي تتّصل بها.

رائدها هو (فيرث/Firth): معنى اللفظة أو الكلمة عند أصحاب النّظرية هو "استعمالها في اللغة، أو الطّريقة التي تستعمل بها، أو الدّور الذي تؤدّيه، ولهذا يصرّح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة'' اللفظة خارج البناء اللغوي لا قيمة لها عندها، ولا دور تؤدّيه، لذا وجب تقييدها ضمن التّركيب كي ينكشف معناها.

أنواع السياق

1- السياق اللغوي: هو المحيط الدلالي الذي يحدّد مدلول العناصر اللسانية، فيختلف المدلول باختلاف السياقات التي يرد فيها" مثلا مدلول فعل "ضرب" يختلف حسب السياق الذي يرد فيه نحو:

ضَرَبت الطير: أي ذهبت تبتغي الرزق ضَرَب الدِّرهم: بمعنى سبكه وطبعه. ضَرَب الجِزية عليهم: أي أوجبها.

2- السياق العاطفي: معنى الصيغة هنا درجة انفعال المرسل مع ما يلفظ من كلمات، وما يُحمّلها من دلالة. يقول ستيفن أولمان:"السّياق وحده هو الذي يوضّح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف، أو أنّها قصد بها أساسا التّعبير عن المواقف العاطفية والانفعالات" الموقف "الذي يقع فيه الحدث الكلامي له اعتبار مهم في تحديد المعنى فعبارة (السلام عليكم) تحية إسلامية، ولكن هذه العبارة قد تتحوّل إلى معنى المغاضبة والمقاطعة حين يحْتدّ النّقاش بين شخصين ويبأس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب مغاضبا ويقول (السلام عليكم)، فالمقام هنا يصرف معناها من كونه تحية إسلامية إلى دلالة المقاطعة والغضب.

3- سياق الموقف:

أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا السّياق، كما عبّر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام)، فالظروف المحيطة بالعملية التواصلية هي ما يعطي المدلولات دلالتها حسب الموقف الذي ترد فيه،

مثلا كلمة (عملية) سياق موقفي تعليمي، يعني إجراء عملية حسابية مألوفة من ضرب أو جمع أو طرح، وفي السّياق الطبّي يعني إجراء عملية لاستئصال ورم أو غيره، أما إجراؤها في السياق الموقفي العسكري فيعني تنفيذ خطة عسكرية معينة والفارق هنا هو الموقف الذي نستعمل فيه.

مثال كلمة (جذر): دلالة كلمة (جذر) عند الفلاح تختلف عن دلالتها عند اللغوي، وهي في مجال الرياضيات بمعنى ثالث يختلف عن معناها عند الفلاح وعند اللغوي، وكلمة (التعدّي) عند أهل اللغة لها دلالة تختلف عن دلالتها عند رجال الشرطة والقضاء. كذلك أطراف الموقف الكلامي تؤثّر في تحديد المعنى، فسؤال الأستاذ للتلميذ للاختبار والتّقييم، أما سؤال التلميذ فهو للاستفادة وزيادة العلم أو إزالة الجهل.

4- السياق الثّقافي:

تحيط بالعملية التواصلية ككل مجموعة من الظروف، فالكلمات تأخذ ضمنها دلالة معيّنة، بهذا يدل السياق الثقافي، يحدّد السياق الثّقافي "الدّلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداما عامّا.

مثلا كلمة (الصّرف) لدى دارسي العربية وطلابها يعني مباشرة أن المقصود هو علم الصرف الذي تُعرف به أحوال الكلمة العربية من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحو ذلك. على حين أن دارسي الهندسة وطلابها يحدّدون دلالة (الصرف) عندهم بأنها مصطلح علمي يشير إلى عمليات التخلّص من المياه بأي وسيلة، لذلك تراه يرتبط عندهم بمصطلح آخر هو (الرّي).